

المغفل المخدوع

« إذا أصيب الرجل بداء الغفلة فقد التفت من نفسه ، وعاد لا ينظر بعينه ، ولا يسمع بأذنه ، ولا يفكر بعقله »

أولع ملك من الملوك بالجديد من الثياب ، فكان يتأنق في لباسه التأنق كله ، وأصبح لا يرى اللذة إلا في الاغراب فيه ، وكثرة الانفاق عليه ، وما كان يعبأ بعد ذلك بأمر أمته ، فترك الجند هملاً ، وهم حصن الأمة وسلسلتها الفقرية ، واحتقر علماء الدنيا والدين ، وهم مصاييح الكون يضيئون الحياة ، ويبصرون الناس بسبلها المعوجة وطرائقها العجيبة ؛ وكان لا يذهب الى التمثيل حباً فيه ، وإنما ليعرض على الناس زخرف ملبسه وجميل هندامه ، وكان لا يخرج للنزهة ترفيهاً لأعصابه واستمتاعاً بجمال الطبيعة ، وإنما ليدهش من يقابل ، ويشير فيه عاطفتين : العجب من تأنقه ، والاعجاب بذوقه .

مرت الأيام هادئة في حاضرة الملك الواسعة ، وأخذ يأتيها الناس من كل فج عميق . وفي ذات يوم قدم الى الملك لسان متشردان ، ضربا في فنون الاحتيال السهم ، وذهبا في صنوف الخداع كل مذهب ، وتظاهرا أنهما أستاذان مبرزان في النسج والحياكة ؛ فأقبل عليهما الملك بسمعه وبصره . ثم قال لهما : « أيها الملك العظيم ، إنا نريد أن نقدم لك خدمة جليلة ، إذ أنت بها خليق ، وهي بك أنسب ، إنا نستطيع أن نعد لك ثوباً شفيفاً جميلاً لا يراه عليك إلا من كان مخلصاً لك ، معجباً بك ، أو كفؤاً في عمله ، قديراً عليه » .

فتهلل الملك واستبشر وقال : « لله دركما يا صديق ، ما أكرمكما وما أجمل صنيعكما ، إنني ولا شك أصبح بما تنسجان وتحركان بصيراً بأحوال الخلق جميعاً ، فأعرف من كان لا يحسن عمله ، ولا يصلح للقيام بما وكل اليه ، وأعرف كذلك المخلص من المخادع المداهن ؛ فابدأ من الساعة بهذا العمل الخطير ، وأنا أعرف كيف أجزل لكما العطاء » .

ثم أمر الملك أن يعطيا مبلغاً كبيراً من المال ، وأُخلى لهما قصر رحيب على مقربة من قصر الملك ، ثم انتشر الجند حوله

عدوان الأعداء بدمه وحياته ؟ ! إنني من غدى مسلم نفسي الى أقرب سلطة عسكرية تفعل بي ما تشاء . ذلك خير لي وأبقى . والتفت اليه عند هذا الحد من حديثه وخاطبته متحمساً : نعم ! ذلك أفضل يا عمه . لو كنت محلك ما فعلت غير هذا . انك هناك لا تضرب بالعصى على ما أعتقد ولا تجر على الأرض : ونظر الى المسكين نظرة ذاهلة حزينة وقال :

نعم يا بني ، سوف لا يضربونني بالعصى ، لأن العصى ليست جزءاً من يتخلف عن واجبه في الجندية ! إنما هي قطع من الرصاص صغيرة يدفنونها في أحشائنا أو يولجونها في رؤوسنا ، فنضحى وكأن لم نكن . ولكن يميناً غموساً لن يحول هذا دون ما أنا عازم عليه من غدى !

وُخيل الى كأنني أدركت معنى هذا الكلام الغريب فراعني من الرجل هذا العزم ، ونظرت اليه في رعب ظاهر وذعر متوسل ، وبعد لحظة من الصمت خيل الى فيها أن الرجل يتذكر أموراً ويستعيد صوراً رفع عينيه وقال :

كلا يا ولدي الصغير ! كلا ! سأجاهد اذاً في سبيل الحياة ، سأحاول أن أعيش . إن لي صغيراً في سنك . لقد نسيته حينما أقسمت ، ولكنني الآن أذكره . انه ينتظرني الآن : ينتظر أن يطوقني يديه الصغيرتين . سأعيش ، سأعيش

وانحدر الدمع المعلق في مقلتيه منذ حين ، وذهب يسير في أحاديث وجهه المجدد . وكان بعضه يقع على الأرض وبعضه الآخر تتلقاه كفاه وفيها قدوة من القماش أخذاً من بقية قميص على صدره

وعدت الى فراشي وليس أقر مني عينا ، وليس أدمى مني قلباً كذلك .

أربب عباسي

فهرس المجلد الأول من السنة الثانية

طلب الينا كثير من قرائنا أن نجعل للمجلد الأول من السنة الثانية للرسالة فهرساً خاصاً بمجلده معه . ونزولاً على إرادتهم سنتحجج الفرصة القريبة لطبع هذا الفهرس وتوزيعه

يحرصونهما من اعتداء المعتدين (من غير المخلصين وغير الأَكفاء!) جلس اللسان المحتالان في القصر الجديد ، ونصبا المناسج والأنوال ، وتظاهرا بالجد في العمل ، والمثابرة التي لا تعرف الملل ، وطلبا من الحرير أرقه وأنعمه ، ومن الخيوط الذهبية أدقها وأنقاها ، فجيء لهما بما أرادا ؛ ولما انفردا في المكان وضعا الحرير والخيوط وما أخذاه من المال في حقيبتيهما ، وجلسا الى مناسجهما القائمة يديرانها على لا شيء ، لا خيط عليها ولا قطعة حرير ، يديرانها بهمة غير محدودة الليل كله ، والملك في قصره ساهر يسمع أزيز المناسج والأنوال ، وهي لا تضعف ولا تخمد . وأخذ النعاس يغالب جلالته حتى غلبه وأخضعه لسلطانه ، ولم ينزع عنه حتى تنفس الصبح ، وجلا الليل جلاء تاماً ، فقام الملك مسرعاً الى نافذته ، تواقاً الى معرفة ما قد تم ، وأخذ يقلب وجوه الآراء فيمن يبعث ، فقرر رأيه على رئيس وزرائه ، وما كان أخلص منه ولا أكفاً في نظر الملك .

كلف الوزير الأكبر بهذه المهمة الشاقة ، فانطلق في سبيله واثقاً من نفسه ، ودخل على الدجالين الكاذبين فوجدهما يتصببان عرقاً ، ويديران المناسج الفارغة بالقوة والعزم اللذين يميزان عمل المخلصين المصممين على النجاح ، فدهش الوزير الجليل وقال في نفسه : « ماذا أرى ؟ أيمكن أن أكون غير مخلص للملك أو غير جدير بمكانتي الاجتماعية العالية ؟ أيمكن أنى لا أرى ولو قطعة صغيرة من الخيط أو الحرير على هذه المناسج القائمة الدائرة ؟ لله ما أشقانى ! » ثم صدر من اللصين سؤال قطع عليه تفكيره الصامت ، إذ طلبا منه أن يقترب قليلاً من المناسج ويخبرها برأيه في اتساق الألوان ؛ ودقة التطريز وجمال الأشكال ، ثم أشارا في الوقت نفسه الى مناسجهما الفارغة .

اقترب الوزير الخطير ووضع منظاره على عينيه ليرى مالم تبصره عينه المجردة . نظر فلم ير شيئاً . ثم رجع البصر كرتين فعاد البصر اليه خاسئاً وهو حسير . اتهم الرجل نفسه وكفايته ودب الحزن في قلبه . وقال في نفسه : لا لا ! لا يمكن أن يعرف الناس عنى أننى غير مخلص أو غير كفء ، ولن أعترف أبداً أنى ما رأيت النسيج الشفاف . .

لم يكد السيد الرئيس يفرغ من خاطره المشجية المضحكة

حتى فاجأه أحد المحتالين بقوله : « سيدى ، يظهر أنك لا تبصر محاسن ما قد صنعنا . » فأجابه الوزير : « لا أبصره ! ! ومن ذا الذى يستطيع الابصار اذن ؟ ما أبدع ما أرى وما أدقه ، بنفسى تلك الألوان المتسقة . وهذه التصاوير الرائعة . . . و . . . نعم سأخبر الملك سريعاً بهذا البدع وهذا التفنن » فشكره اللسان شكراً جزيلاً على حكمته وكفايته . وأخذ يشرحان له الأشكال المختلفة الموهومة . ويذكران أسماء الألوان . ويبينان مواضع الحسن في ذلك القماش الخيالى . والوزير يصنى اليهما ويهز رأسه لبعض ما يسمع حتى يسرده على الملك عند عودته حرفاً بحرف رجع الوزير والههم حليفه الى الملك ، وأخذ يصف ذلك الجمال الذى سمعه بأذنه . وعجز عن رؤيته بعينه . والملك يترنح عجباً ومروراً . وفى اليوم التالى بعث الملك ضابطاً من ضباطه الذين سمعوا وصف الوزير وإعجابه بما شهد . فذهب الرسول ولم ير من المناسج إلا خشباً قائماً لا شيء فيه . ولكنه اتهم عينيه واتهم كفايته وأخذ يفكر تفكيراً هو الحريق الداخلى ويقول لنفسه : « لاشك أنى غير كفء لمكانتى ذات الأجر الكبير . أف ما أتعسنى ! كيف أعجز عن إبصار مارآه السيد الرئيس وافتتن به ؟ لا يجوز أن يعلم أحد عنى ما أعلمه الآن من نفسى . » ثم ارتفع صوته فجأة بالاعجاب والمديح ، وعاد إلى الملك يببالغ في الثناء . فازداد الوزير (وكان حاضراً) اتهاماً لنفسه وكفاءته . وسر من كذبه الصالح . ثم عزم الملك على زيارة تلك المناسج العجيبة . فقام مع حاشيته ورئيس الوزراء والضابط الممتاز وذهبوا إلى اللصين جميعاً دخلوا حجرة اللصين فصاح الوزير الأكبر صيحة العجب والاعجاب : « ما أجمل ذلك الزخرف . وما أدق هذه الصنعة ! وما أبدع تلك الألوان المتداخلة . وتلك الأشكال المتماثلة . » ثم صاح الضابط : « يا لله ! ما كنت أحسب قبل اليوم أن فى طاقة الانسان أن يعمل كل هذا البدع : ثوب شفيف مطرز . وبالأشكال الجميلة مزخرف . وهو مع ذلك لا تراه إلا عيون المخلصين والأَكفاء ، ولا تلمسه الأيدي ولا تدركه الظنون . »

فوجم الملك وقال في نفسه : « ما هذا ؟ ألا أرى شيئاً ؟ إنها لمصيبة كبرى ؟ هل يمكن أن أكون معتوهاً أو غير خليق بالملك ؟ لا . لا بد أن أسدل على الأمر ستار الخفاء . » ثم صاح

سيوة

تقع واحة سيوة في صحراء مصر الغربية على الحدود ما بين مصر وطرابلس على مسافة مائتي ميل جنوبي السلوم وأربعمائة ميل غربي وادي النيل .

ويمكن القول أنها الواحة الشمالية من سلسلة واحات تتبع إحداها الأخرى من الجنوب إلى الشمال في صحراء « ليبيا » وكان الأقدمون يسمون هذه الواحات « بالأراضى المقدسة » لأنهم كانوا يعتقدون أن الآلهة منحت هذه البقاع ماء وسط تلك الصحراوات القاحلة ، ولأن هذه الواحات قد حمتها الطبيعة بأن أحاطت كل واحة منها بسلسلة من جبال كلسية تمنع عنها الرمال الدقيقة التي تحملها معها الرياح ، إذ لولا هذه الجبال لغطتها كثبان الرمال وجعلتها في عالم النسيان ، كذلك عيون الماء المتفجرة في هذه الواحات سببت الحياة والرخاء وسط ذلك المحيط القاحل غرب وادي النيل .

تتكون سيوة من عدة واحات صغيرة متجاورة تقع في منخفض من الأرض يبلغ طوله حوالى ثلاثين ميلاً وعرضه ستة أميال تقريباً ، وينخفض عن سطح البحر حوالى عشرين متراً تكنفها صحراء جرداء محرقة لا تسقط فيها الأمطار

ولقد زارها الاسكندر الأكبر حينما غزا مصر وتبرك بزيارة معبد « جوبيتر آمون » إرضاء للكهنة المصريين ورغبة منه في إظهار احترامه لدينهم

يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة ، وهم سلالة أقوام قديمة من البرابرة ، ولا يشبهون أعراب الصحراء في شيء . ولهم لغة خاصة بلهجة ولكنة غريبتين ، ولعلها لغة أجدادهم البرابرة القدماء ، والغريب في أمرهم أنهم يتكلمون بتلك اللغة ، ولكنهم لا يتكاتبون بها ، بل إنهم يتكاتبون باللغة العربية ، ولا شك في أن بقاء هذه اللغة البربرية راجع إلى بعد الواحة عن العمران ، وصعوبة المواصلات بينها وبين الأجزاء الأخرى من القطر فقل اختلاط السكان بالمصريين والأعراب ، بل إن أهالي سيوة لهم عادات خاصة ، وطباع تخالف في جوهرها طباع العرب وسكان وادي النيل

ليس لهذه الواحة تاريخ معروف ، بل إن ماضيها مظلم ، وليس من

« حقاً ما أجل ذلك القماش ! إني راض عنه الرضى كله » ثم ابتسم وحدث في المناسج الفارغة . ولكن هيهات لنفسه الضعيفة أن تنكر وجود شيء أقره رجلان من كبار رجاله ! وانطلق رجال الحاشية يحدقون كذلك ويصيحون : بديع ! مدهش ! نغم ! عجيب ! رائع ! تلك كانت الصفات التي أخذت ترن في أنحاء المكان الواسع . ثم عطف الملك على الحائكين وأجزل لها العطاء ورفعها إلى الدرجات العالية ، وقرر الملك أن يلبس تلك الحلة الرائعة ويسير في موكب نغم في أنحاء المدينة يعرضها على الأنظار . . .

جاء يوم الاحتفال — ذلك اليوم المشهود — فخرج الناس من منازلهم ، وساروا زرافات في الطرق ، حتى فاضت بهم السبل ، وكأن الأرض صفحة كتاب ، سطورها الشيوخ والشباب . أما الملك فقد جرده اللسان من ملابسه إلا قميصه وسرواله ، ثم أوقفاه أمام المرأة ، وأخذوا يروحان ويحيثان ، ويرفعان أيديهما ويضعانها ، ويديران الملك أمام المرأة ليرى الحلة الجديدة ، وأفراد الحاشية وقوف بين متعجب ومسرور ، ثم صاح اللسان أن قد تم كل شيء فتقدم الخدم إلى رفع الذيل الموهوم لتلك الحلة الخيالية ، وسار الملك في طليعة السائرين ، والوزراء والأعيان حوله ووراءه ، والنساء مطلات من المنافذ والشرفات ، والناس منهومون بالنظرات . وما وقعت عيونهم عليه حتى علا الصياح يشق جوف الفضاء : « ما أجل الثوب ، وما أبدع الذيل » . . . ! ! !

وهكذا ظل كل انسان يخدع نفسه ويكذب عينيه ، ظناً منه أنه وحده قد عجز عن رؤية الثوب ، وأن الباقيين يرونه كما يرى بعضهم بعضاً . واستمر الحال كذلك برهة والناس جميعاً خادعون ومخدوعون ، ثم صاح طفل ساذج : « ليس على الملك ثوب جديد ! الملك عريان ! » فبهت الجميع . . . ثم صاح شيخ كهل :

« اسمعوا صوت الحق ، اسمعوا صوت الطبيعة التي لا تعرف اللق والنفاق » . فاغتم الملك غماً شديداً إذ علم أن ما قاله الطفل حق صراح ، يبصره هو ويشعر به ، ثم عاد أدراجه بين سخر الساخرين ، واستهزاء الضاحكين .